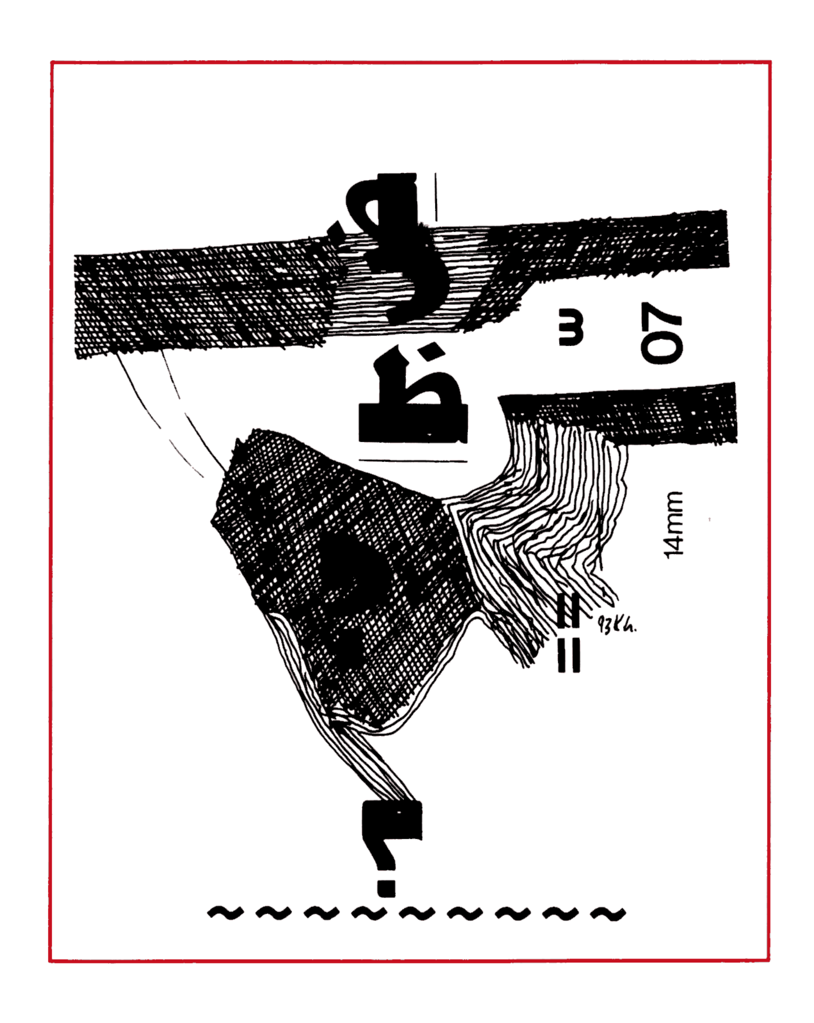
د. علي الوردي

هكذا قتلوا قرّة العين



منشورات الجمل

د. علي الوردي

هكذا قتلوا قرّة العين

د . علي الوردي

هكذا

قتلوا قرّة العين

منشورات الجمل ١٩٩٧

د. علي الوردي (١٩١٣– ١٩٩٦). درس في الجامعة الامريكية في بيروت وحصل على الماجستير والدكتوراه في علم الاجتماع من جامعة تكساس. درّس علم الاجتماع (منذ سنة ١٩٥٠) في جامعة بغداد وحتى احالته على التقاعد سنة ١٩٧٠. من كتبه: خوارق اللاشعور، وعاظ السلاطين، مهزلة العقل البشري، اسطورة الادب الرفيع، ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصه، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (ثمانية أجزاء). ومنعته الرقابة الحكومية من اصدار الاجزاء اللاحقة. ترجمت بعض اعماله الى الكثير من اللغات كالالمانية والاسبانية والانكليزية. أختير هذا النص من الجزء الثاني من كتابه (لمحات...). كما ان العنوان من وضع الناشر.

د. علي الوردي: هكذا قتلوا قرّة العين

Postfach 600501
50685 Köln - Germany
Tel: 0221 73 69 82
Fax: 0221 732 67 63

تطلب كافة اصدارات «منشورات الجمل» من الناشر مباشرة أو من:

المركز الثقافي العربي: لبنان – بيروت ص.ب. (٥١٥٨/١١٣)

المركز الثقافي العربي: المغرب / الدار البيضاء ص.ب. (٤٠٠٦)

قرة العين

شغل المجتمع العراقي في السنوات الاخيرة من ولاية نجيب باشا بحديث امرأة عجيبة تدعى "قرة العين" اذ هي أسفرت عن وجهها، وارتقت المنبر، وخطبت وجادلت، فكان ذلك أول حدث من نوعه في تاريخ العراق، وربما في تاريخ الشرق كله، طيلة قرون عديدة. ونحن الآن اذ نريد دراسة تاريخ المجتمع العراقي في تلك الآونة يحسن بنا التعرف الى شخصية هذه المرأة ومبلغ تأثيرها في العراق ثم في ايران.

ولدت هذه المرأة في قزوين عام ١٨١٤م، وقد سميت بـ"زرين تاج" وهو اسم فارسي بمعنى "التاج الذهبي" لأنها كانها ذات شعر أشقر، وكانت أسرتها من الأسر الدينية المعروفة في قزوين ذات جاه ومكانة تدعى بـ"آل البرغاني" ، وقد برز فيها علماء مجتهدون لهم شأن كان منهم الملا محمد صالح الذي هو والد قرة العين، والملا محمد تقي الذي هو أحد أعمامها، وكان الملا محمد تقي

هذا كبير علماء قزوين في ذلك الوقت.

تميزت قرة العين بجمالها الفتّان وذكائها المفرط، وقد بدأ نبوغها بالظهور منذ صباها الباكر. قيل انها كانت تحضر دروس أبيها وعمها التي كانا يلقيانها على الطلبة، فكان يوضع لها ستار لتستمع الى الدروس من ورائه، وسرعان ما أخذت تشارك في المجادلات الكلامية والفقهية التي تثار بين رجال أسرتها، وكثيراً ما كان أبوها يظهر أسفه قائلاً: "لو كانت ولداً لكانت أضاء بيتي وخلفتني". وذكر أخوها عبدالوهاب في وصف ذكائها المفرط فقال: "اننا جميعاً من أخوة وأولاد عم ما كنا نقدر أن نتكلم في حضرتها لأن علمها كان يرعبنا، واذا تصادف وتكلمنا عن مسألة فانها كانت تتكلم عنها بكل وضوح واتقان على البداهة حتى نعلم أننا أخطأنا السبيل ونتركها ونحن متحيرون"[١].

كان أهل قزوين في ذلك الحين كأهل كربلا منقسمين الى فريقين متنازعين: "بشت سري" و"بالا سري" أي شيخيين وخصوم الشيخيين. وكان هذا الانقسام قد سرى الى بيت قرة العين فكان عمها الكبير الملا محمد تقي من خصوم الشيخيين بينما كان عمها الآخر الملا علي من الشيخيين. وقد نشأت قرة

العين في هذا الجو الفكري المفعم بالجدل، ولا شك أنها استطاعت أن تستوعب بذكائها الشيء الكثير من ذلك الجدل وتنتفع به.

عندما بلغت قرة العين الرابعة عشر من عمرها زفت الى ابن عمها الملا محمد بن الملا محمد تقي، ولم تمض على ذلك سوى مدة قصيرة حتى قرر الزوج الهجرة الى العراق لطلب العلم، فسافرا معاً الى كربلا ونزلا في دار تعود للاسرة في محلة "الخيمگاه" وهي الدار التي لا تزال قائمة يسكنها بعض أسرة البرغاني وقد زارها كاتب هذه السطور منذ عهد قريب.

مكث الزوجان في كربلا ثلاث عشرة سنة تقريباً رزقا فيها بولدين هما ابراهيم واسماعيل، والظاهر أن حياتهما في كربلا لم تخل من خصام ومناقرة، فهي اخذت تميل الى السيد كاظم الرشتي الذي كان يرأس الشيخيين يومذاك، بينما كان زوجها يميل الى "البالاسري". وربما كان الخصام بين الزوجين في بدايته بسيطاً ثم صار يشتد ويتعقد مع الايام.

عاد الزوجان الى قزوين في عام ١٨٤١م، ورزقا هناك بولد ثالث سمياه "اسحاق" وكانت عودتهما ايذانا باستئناف الخصام والمناقرة بينهما من جديد. فقد أصدر والد زوجها فتوى أعلن فيها تكفير

الشيخيين بينما هي ازدادت من جانبها ولعاً بالعقائد الشيخية وتعلقاً بالسيد كاظم الرشتي.

وشرعت قرة العين تكاتب الرشتي تستفسر منه عن بعض المعاني الغامضة في كتاباته، ثم قررت أخيراً أن تترك زوجها وأولادها وتهاجر الى كربلا لتكون قريبة من الرشتي وتنضم الى حوزته العلمية.

وفي عام ١٨٤٣م سافرت قرة العين الى كربلا، وكانت حينئذ في التاسعة والعشرين من عمرها وفي قمة نضوجها، وحين وصلت الى كربلا فوجئت بان الرشتي الذي جاءت من أجله كان قد توفى قبل أيام قليلة فأصيبت بخيبة الأمل وشاركت في مأتمه(٢).

اعتناقها الدعوة البابية

تجمع المصادر البابية والبهائية على أن قرة العين كانت من أوائل الذين اعتنقوا الدعوة البابية حيث أصبحت من "حروف الحي" الثمانية عشر، وأنها اعتنقت الدعوة يوم كان الباب لايزال في شيراز يدعو الى نفسه سراً. وهذا أمر يصعب علينا تصوره اذ كيف استطاعت قرة العين أن تعلم بالدعوة وهي في كربلا وتقتنع بها دون أن تتصل بالباب أو تعرف عنها شيئاً.

أوردت المصادر البهائية في هذا الشأن روايتين مختلفتين، فقد جاء في أحد تلك المصادر وهو كتاب "تذكرة الأوفياء" : أن قرة العين عندما وصلت الى كربلا بعد وفاة السيد كاظم الرشتي انقطعت الى العبادة والتضرع في انتظار الموعود الذي كان الرشتي قد تنبأ بقرب ظهوره، وفي ذات ليلة رأت في منامها شاباً يلبس رداءاً أسود وعمامة خضراء وهو في السماء رافعاً يده بالدعاء ويتلو بعض الآيات، وبعد حين وصل اليها تفسير من الباب لسورة يوسف فوجدت فيه احدى الآيات التي سمعت الشاب يتلوها في

المنام، فأدى ذلك بها الى التصديق بدعوة الباب[٣].

أما كتاب "الكواكب الدرية" فيروي القصة بشكل آخر اذ يقول: بينما كان تلاميذ السيد كاظم الرشتي قد انتشروا في البلاد يبحثون عن الموعود انقطعت هي للرياضة والتبتل وهجرت تناول المطبوخات، وكانت كل أوقاتها مصروفة في الترقب والانتظار. وفي ذات يوم كتبت رسالة الى الملا حسين البشروئي تقول فيها: "اذا وفقتم للقاء طلعة الموعود فلا تحرموني من موافاتي بذلك النبأ، ولا تضنّوا علي بالسعادة، فان للأرض من كأس الكرام نصيباً"، فوصلت رسالتها الى الملا حسين أثناء وجوده في شيراز فقدم الرسالة الى الباب، فأدخل الباب اسمها في عداد "حروف الحي" وكتب توقيعاً بذلك. ولما جاء الملا علي البسطامي الى العراق موفداً من الباب اتصلت قرة العين به واستفهمت منه عن تفاصيل الدعوة مما جعلها تزداد ايمانا بها[٤].

المرحلة الاولى

تشير القرائن الى ان الدعوة البابية أخذت تكتسب الاتباع في كربلا تدريجاً، وكانوا كلهم من الشيخيين، غير أنهم كانوا يلتزمون التقية والتكتم ولا يعلنون عن مذهبهم الجديد أمام الناس، ولم يكن من المسموح لهم في أول الأمر أن يذكروا اسم الباب أو يعينوا شخصه بل كانوا يتحدثون عنه بطريق الرمز والاشارة، وكثيرا ما كانوا يطلقون عليه اسم "الذكر" عند الحديث عنه.

والظاهر ان قرة العين حين اعتنقت الدعوة البابية كانت كغيرها من اتباع الدعوة تلتزم التقية، ولكنها أخذت تنشط في الاتصال بالناس لتمهيد الاذهان نحو قبول الدعوة الجديدة. قيل انها كانت في تلك المرحلة من حياتها تلقي الدروس الدينية في منزلها ويجتمع اليها عدد كبير من الطلبة والمستمعين، فكانت تجلس في غرفة صغيرة وراء باب عليه ستار، ويجتمع الطلبة والمستمعون في غرفة اخرى واسعة، وهي تتحدث اليهم من وراء الستار.

كانت قرة العين تملك صوتاً جهورياً ومقدرة كبيرة على الكلام والجدال، فأحدثت في المجتمع الكربلائي هزة عنيفة وأصبح اسمها على كل لسان، وصار الناس نساء ورجالاً يتناقشون ويتجادلون في الأفكار الجديدة التي كانت تطرحها قرة العين في دروسها المنزلية.

وفي شهر آب من عام ١٨٤٦م. انتقلت قرة العين مع حاشيتها الى الكاظمية، ويقال في سبب هنا الانتقال أن خلافاً حدث بينها وبين كبير الشيخيين المرزا محمد حسن جوهر فقررت الابتعاد عنه والذهاب الى بلدة أخرى تستطيع أن تنفرد فيها من غير معارض تخشى بأسه.

استُقبلت قرة العين في الكاظمية استقبالاً حافلاً وكان على رأس المحتفين بها أولاد السيد عبداللّه شبر، فنزلت أول الأمر في ضيافتهم، ثم تحولت بعدئذ الى دار السيد صادق الكشفي وهو من خدمة الجوادين وكانت داره معدة لنزول الزوار الشيخين فيها. وأخذت قرة العين تلقي الدروس في الكاظمية على منوال ما كانت تفعل في كربلا، وزادت على ذلك فصارت تصعد المنبر أحيانا فتذهل السامعين بقوة حجتها وحسن القائها.

وذاع صيتها في بغداد فأخذ الكثير من سكانها، من الشيعة وغيرهم، يفدون الى الكاظمية لسماع دروسها ومحاضراتها. روى لي أحد المسنين من أهل الكاظمية نقلاً عمن شهد قرة العين أثناء مكوثها في الكاظمية فقال ان الكثير من الناس حضروا حلقات درسها وصلّوا وراءها، وكانوا اذا استمعوا اليها وهي تتكلم يكادون يذهلون عن أنفسهم من شدة تأثرهم بها.

يبدو أن قرة العين لم تكن متزمتة في حجابها على النمط الشديد الذي اعتادت عليه نساء عصرها، وهي ربما كانت تلتزم بالسفور الذي تبيحه الشريعة الاسلامية وهو اظهار صفحة الوجه والكفين من غير زينة، فكانت تجالس الذين تثق بهم من أصحابها وتحادثم وهي مكشوفة الوجه، غير أن هذا النوع من السفور لم يكن يستسيغه الناس في تلك الايام فأثار ضجة لدى العامة ورجال الدين وأخذوا يتقولون عليها ويلصقون بها التهم الشنعاء.

كان الناس في تلك الأيام قد اعتادوا أن يربطوا بين عفة المرأة وشدة حجابها، فكلما كانت المرأة أشد حجابا كانت في نظرهم أعظم عفة وأكمل خلقاً. ولهذا أخذ خصوم قرة العين يتهمونها بالتحلل الخلقي، ولاتزال هذه التهمة لاصقة بها حتى اليوم.

سألت ذات مرة أحد المسنين من أهالي الكاظمية عما يعرف عنها، ولم يكد الرجل يسمع سؤالي حتى فاجأني بقوله انها كانت "كذا وكذا" مما لا يستحسن ذكره. وليس هذا الجواب بالامر المستغرب من رجل عاش في بيئة الحجاب الشديد وآمن به ايماناً مطلقاً.

يقول صاحب كتاب "الكواكب الدرية" : ان سفور قرة العين تلقاء صحبها وتلاميذها أثار خلافاً بين رجال الدين وقام بينهم الجدال والشقاق على قدم وساق، وعندما سألوا التلاميذ عن ذلك أجابوا بأن الوجه والكفين لم تكن عورة في نظر الدين الاسلامي وجاؤوا بدليل الحج حيث أن ازواج النبي لم يسترن الوجه والكفين رغم الازدحام العظيم أثناء موسم الحج، ولكن هذا الجواب المؤيد بالشواهد لم ينه المشكلة بل استشرى الخلاف والجدال بين الناس(٥).

المرحلة الثانية

مكثت قرة العين في الكاظمية زهاء ستة أشهر، ثم عادت الى كربلا في شهر شباط من عام ١٨٤٧م بمناسبة زيارة الأربعين التي حلت في الثامن من ذلك الشهر. وبعودتها الى كربلا دخلت مرحلة جديدة من حياتها، فهي أخذت تترك طريقة التقية والتكتم وتعلن دعوتها جهاراً، وكان ذلك سبباً في حدوث انشقاق في صفوف البابيين حيث تابعها فريق منهم وهم الذين يسمون "القرتية" وكان منهم الملا باقر وهو أحد السابقين الى الدعوة البابية ومن الذين نالوا مديحاً من قلم الباب، أما خصومها فقد اتبعوا الملا أحمد الخراساني الذي كان يتولى رعاية بيت السيد كاظم الرشتي ومسؤولاً عن أرملته.

عثر كاتب هذه السطور على كتابين يصوران ذلك الانشقاق الذي حدث في كربلا تصويراً رائعاً، وهذان الكتابان يكمل أحدهما الآخر، أو بعبارة أدق: يرد أحدهما على الآخر. فالأول منهما مخطوط عنوانه "عقائد الشيخية" وهو مكتوب بلغة عامية

بقلم الملا أحمد الخراساني اذ ينتقد فيه قرة العين ويشتمها ويسميها "بنت طالح" ، أما الكتاب الثاني فهو بقلم أحد اتباع قرة العين يدعى الشيخ سلطان الكربلائي وهو يرد فيه على الملا أحمد الخراساني ويدافع عن قرة العين[٦].

حين نقرأ هذين الكتابين بامعان ونقارن بينهما نستطيع أن نكتشف نقاط الخلاف بين أتباع قرة العين واتباع الملا أحمد . وهي باختصار كما يلي :

(١) ان قرة العين كانت تعتقد بأن الوقت قد حان لرفع حجاب التقية والاجهار بالدعوة، بينما كان الملا أحمد يعتقد أن الباب أمره بالتزام التقية .

(٢) كان الملا أحمد يعتبر كتب الشيخ أحمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي خالدة، وكان يواصل القراءة فيها، أما قرة العين وأصحابها فيعتبرون تلك الكتب منسوخة حيث ذهب زمانها بظهور الباب، وأخذوا يشنعون على الملا أحمد ويمنعون الناس من مجالسته ويصفونه بأنه يأكل الميتة يعنون

بذلك أنه يقرأ كتب الأموات.

(٣) المقصود بظهور الامام الغائب في رأي قرة العين هو ظهور الباب أما رجعة الأئمة فالمراد بها ظهور السابقين في الدعوة أي الذين اعتنقوا الدعوة البابية قبل غيرهم: فالملا حسين البشروئي هو في مقام رسول الله، والملا علي البسطامي في مقام أمير المؤمنين، وقرة العين في مقام فاطمة الزهراء، والملا حسن السجستاني في مقام الحسن، والسيد حسين اليزدي في مقام الحسين، والملا باقر في مقام الامام الباقر... الى آخره. ان هذا هو ما كان ينسبه الملا أحمد الى قرة العين وأصحابها، بينما هم كانوا يتبرأون من ذلك.

(٤) كان الملا أحمد ينسب الى قرة العين أنها تمنع من اقامة العزاء على الحسين أو زيارة قبور الائمة بحجة أن الائمة لا يجوز نسبة الصفات البشرية اليهم كالموت والعطش، فلا معنى اذن لذكر عطش الحسين أو قتله.

(٥) كانت قرة العين وأصحابها يحرمون التدخين ويعدون ذلك من التعاليم الجديدة التي جاء بها الباب، أما الملا أحمد فكان يدخن مدعياً أنه يفعل ذلك أمام الناس من باب التقية.

ولكي يطلع القارىء على الاسلوب الذي كتب به الملا أحمد كتابه ورأيه في قرة العين ننقل فيما يلي نبذة منه كما هي بنصها الحرفي فلا نغيّر منها شيئاً سوى اضافة بعض الفوارز وبعض الشروح حيث نضع الشروح بين شرطتين كما جرت عليه العادة. يقول الملا أحمد:

"بسم اللّه الرحمن الرحيم، الحمد للّه الذي خلق الخلق ليحسنوا عملاً باتباع الصالحين... أما بعد فيا أهل الحق من المجاهدين المحسنين الذين وعد اللّه لكم الحق اليقين، فاصمتوا واسمعوا الى ما يبرز من هذا الحقير الفقير الذي ابتلى بما ورد على أولياء الرحمن من اختلاف أهل سجيّن مع العليين، أحمد بن اسماعيل الخراساني تلميذ السيد العظيم الذي هو من أولياء المتقين... فاعلموا ان مذاهب اليوم مختلفة

منهم أهل السنة والجماعة ومنهم الشيعة الذين يسمون أنفسهم جعفرية الاثنا عشرية، وهم على فرقتين البالاسرية والشيخية، والشيخية على فرقتين البابي وغيره، والبابي أيضاً صاروا فرقتين منهم الذين اتبعوا بنت صالح القزويني الذي انكر الشيخ الكريم والسيد العظيم - يقصد الشيخ أحمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي - وكذلك بنته أنكر على الذكر الحكيم - يقصد الباب - برد أقواله وأفعاله ونسبت نفسها اليه واتبعت شهوتها وهواها وبلغت منه مناها، فتباً لها على جرأتها لسيدها ومولاها...".

ثم ذكر الملا أحمد كيف أن كتاباً وصل من الباب في مدح قرة العين فاتخذ الملا باقر هذا الكتاب حجة بيده لجمع الاتباع حولها. يقول الملا أحمد: "... وعلى أي حال، هذا ملا باقر أخذ منزلاً ومكاناً عند هذه المرئة أعني بنت صالح ثم بعد مضي أيام أخذ كتاب الذي ورد لبنت صالح ويدور في الناس بين الأصحاب ويقول لهم آمنوا بالكتاب فانه ورد في حق قرة العين وهي باب

اليوم عليكم كما أن جناب الملا حسين باب عليكم، فمن أقرها نجى ومن أنكرها هلك. قلت يا ملا باقر هذا الكتاب لا يدل على ما تريدون لا تفسدوا على أنفسكم، ولا جناب قرة العين ولا سائر الناس ما سمع مني، حتى أنه أجمع أصحاباً من الرجال عند قرة العين رأيسهم شيخ سلطان ثم شيخ صالح الكريمي ثم ميرزا هادي النهري وبعض آخر من الأصحاب. على أي حال كما قلت لهم: ياجماعة ما يدل هذا الكتاب لما تريدون. ما سمعوا مني، وأخذوا في النزاع والجدال، وحكموا عليّ بالكفر وعدم التدريس والتعليم للأطفال... وأمرتهم قرة العين أن كلما يبرز من لسان مبارك جناب الملا باقر فهو حق فخذوه وان لم تعلموا مراده فانه في عالم الفؤاد. والجماعة فعلوا فعالاً عجيبة غريبة لم يفعله لا الأولون ولا الآخرون حتى صار بين الأصحاب نزاع وجدال... وأنا لما وقع النزاع أول مرة كتبت كتباً متعددة بطريق سؤال المسائل الى الأطراف واحداً الى جناب ملا شيخ علي بالشيراز، والآخر الى جناب السيد حسين الى الاصفهان، وواحد الى الذكر العلي – يقصد الباب – وواحد الى جناب السيد علي في الكاظم عليه السلام. وما ذكرت في هذه الكتب قول أحد أو اسم شخص لعل الجماعة يقبلون اذا جاء

الجواب، فوصل جواب كتاب الذكر العلي سلام اللّه عليه وجواب كتاب سيد حسين على رد أقوالهم وافعالهم... فأولوا كتب على مرادهم وما جازوا أبداً وما أثر فيهم شيئاً... ومن الواقعات أنه لما وقع الاختلاف أنا صرت حزيناً كئيباً الى أن رحت الى حضرة الحسين عليه السلام والتمست من الامام عليه السلام رفع الاختلاف والايتلاف، ولما خرجت من الحضرة صرت الى بيت ميرزا هادي النهري، فاذا جاء ملا باقر وبيده كتاب ورد من الذكر العلي سلام اللّه عليه يقول: البشارة البشارة ان الذكر أرسل اليك السلام، ويريدك بنت الصالح. فلما ذهبت عندها، وبعض الاصحاب أيضاً كانوا حاضرين، قالت أردتك من جهة أن الذكر صلوات اللّه عليه بلغ اليك السلام في كتاب سيد علي شبر وهذه عبارته: (واذكر أحمد في بيت كاظم). فلما قرأنا قالت أنت لابد أن تدرس درسين: واحد لملا باقر وشيخ صالح وميرزا هادي وخواص الاصحاب، والآخر من أي كتاب تريد لمن تريد. فخرجت من المجلس مبتشراً برفع الاختلاف والايتلاف، فلما جئت الى البيت سمعت من بعد يومين أنهم أوّلوا الكتاب وقالوا: (ان بيت كاظم هو ملا علي، وأحمد هو متكلم وحده فعل المستقبل).

ففهمت أنهم ما يريدون الا النزاع والفتنة..." .

ثم يصف الملا أحمد ما حدث بعدئذ لقرة العين فيقول:
"...ثم بعد ذلك اشتهر خبرها بين الناس وأنها تعدّت وفعلت ما فعلت، فاضطرب الناس وأخبروا الحاكم بأنها كافرة تغيّر الناس. فاجتمعوا في الشورى ورأوا الصلاح أنهم يأخذوها، فهجموا عليها في بيت ميرزا هادي النهري فهربت الى بيت السيد صلوات اللّه عليه – يقصد بيت السيد كاظم الرشتي – فدخلت فيهم، وجاؤوا جماعة فمنهم حاجي مهدي كمونة، وملا عبد الجليل القاضي، وسيد سعيد بن السيد ثابت، وأخذوها من بيت السيد وحبسوها في بيت حاجي مهدي كمونة، فمضت أيام كانت هي في الحبس، وأخبروا الحاكم بخبرها، ولكن لما كانت امرئة ما شدّدوا عليها فخلوا سبيلها. وفي هذه الايام أنا كنت ذات يوم قاعد في البيت وقد جائني بعض من أصحابها قال تريدك بنت طالح، قلت نعم فذهبت اليها فلما قعدت رأيت بعض أصحابها أيضاً قاعدين وهي تتكلم، فقالت لي أتدري لأي جهة أردتك؟ قلت لا، قالت ألقي الي من قبل ولاية ملا باقر فألقيت عليكم فما قبل مني أحد الاّ أربعة عشر نفس، سبعة من الرجال وسبعة من

النسوان، والآن ألقى شيئاً آخر، قلت: أي شيء؟ قالت: وردت علي بلسان الحال لا المقال أني أريد أرفع التقية وأثبت حجية الذكر صلوات اللّه عليه – تقصد الباب – وأروح بالبغداد. قلت بأي دليل؟ قالت: وردت علي من ست جهات. قلت للمعارضة: وردت علي من ست جهات أنه يجب التقية. قالت: أنت كاذب. قلت: اني غير كاذب بل أنت كاذبة. ثم قلت: أما أنا الى الآن ورد علي من الذكر صلوات اللّه عليه سبعة كتب وفيها أمرني بالتقية والستر والحفظ وأما أنت فافعلي ما تريدين وأنا لست مطيعاً لك بل مطيع شخص آخر وهو ما أمرني بذلك، فقمت من المجلس وقلت: أزيد من ذلك لا يجوز التكلم مع الأجنبية. وبعد ثلاثة أيام ذهبوا بعض أصحابها بأمرها الى الحاكم وكفلوا أمرها ثم قالوا للحاكم: نحن نريد نتكلم مع الناس ونثبت حجتنا. قال الحاكم: اخرجوهم فانهم بعد مايجوزون من هذه القضية. فأخرجوهم من المجلس، ثم بعد ثلاثة أيام ركبوا وراحوا البغداد، النسوان مع الرجال الأجنبيين بغير المحرمية والمناسبة، بنت طالح مع أصحابها من الرجال والنسوان"(٧).

وجهة النظر الأخرى:

في الوقت الذي سجل فيه الملا أحمد وجهة نظره في كتابه كان الشيخ سلطان قد سجل في الكتاب الثاني وجهة النظر المعاكسة، فهو يقول: "يا ذكر اللّه تعالى شأنك، بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد الفقير الحقير، المعترف بالقصور والتقصير، سلطان بن خلف بن الشيخ حسن سلطان، اليكم يا معشر الشيعة من أهل الباب، سلام الله عليكم ورحمة اللّه وبركاته. أما بعد فلا يخفي عليكم أيها الاخوان أن من المعلوم الضروري الذي لا يحتاج الى البيان أن العالم في الترقي، والمدارك في ازدياد، واللّه سبحانه في كل آن وزمان، من أحداث ابتلاء وامتحان لتزييل أهل الباطل من أهل الايمان... فلهذا الأمر المحكم صدر ما صدر، ووقع ما وقع، في هذه السنة في شهر رمضان، والى الآن، من الاختلاف الشديد في الاقوال والأعمال والاعتقادات والكليات والجزيئات. وسبب ذلك ان الملا أحمد حيث سمى نفسه من المصدقين المسلمين لأمر الذكر عليه السلام، وجلس في بيت باب اللّه المقدم سلام اللّه عليه - يقصد بيت السيد كاظم الرشتي - وجعل يفعل فعل المكذبين المنكرين، يجمع الناس الذين أقروا باللسان دون

الجنان، ويصنع لهم القهوة ويأمرهم بشرب الدخان في السر والعلانية. ولم يزل على هذا الحال حتى جاء شهر رمضان واتفق في ليلة منه، وهو الثالث والعشرين، أن المصدقين كانوا موعودين للافطار، وبعد الفراغ منه أمر الملا أحمد لهم بالغليان – يقصد النارجيلة– وكان ذلك بحضور رجل من السابقين وهو جناب الملا محمد باقر فنهى الجماعة عن شرب الدخان، وأكثرهم لاينتهون، فجعل جناب الآخوند – يقصد الملا باقر– يلوم الملا أحمد على فعله، والملا أحمد يقول: انما أفعل هذا للتقية. فقال له الآخوند: انما التقية تكون من الأغيار وأنتم كلكم تدّعون التصديق والايمان وليس معكم أحد من المنكرين، ثم وأي التقية في عدم شرب الدخان، وما معنى التقية، وما حدها، وان احترام هذا البيت لازم على جميع المؤمنين ولا يجوز فيه شرب الدخان. فوصل الخبر الى العيال – يقصد أرملة السيد كاظم الرشتي – والى قرة العين، فأرسلوا اليه يلوموه كثيراً وينصحوه ويعظوه: ان الأمر عظيم والخطب جسيم، وأنتم عنه معرضون، وفي اللذات الفانية منهمكون، وللدخان والقهوات شاربون، ولا تنقطعون الى اللّه، ولا تسلكون سبيله. وهو لا يسمع منهم ولا يلتفت اليهم، وظل

يتهم جناب الآخوند ويقول: هو فضحني عند قرة العين وعند العيال ولا أرضى بعد ذلك يدخل عليّ لانه من المفسدين. وصار الملا أحمد كلما يتكلم جناب الآخوند بكلمة يردّه ان عرف حقيقتها أم لم يعرف... والملا أحمد مصّر على الجدال والرد على جناب الآخوند حتى وصل خبره الى جناب قرة العين فأرسلت اليه: ان الواجب عليك احترام الآخوند والقبول منه لأنه من السابقين ولا يقول الا الحق. وملا أحمد لا يقبل شيئاً مما تقول، فطلبته وأحضرته وأقامت عليه الحجة وخصمته بأن الملا محمد باقر هو وما يقول حق وصدق. واذا خرج من عندها يرجع كما كان ولا يزداد الا عتوا ونفوراً. وبينما هو وهي في هذا الحال من الجدال والقيل والقال اذا وردت علينا كتابات ووتوقيعات من الذكر عليه السلام في حق جناب قرة العين، قرة عينه عليه السلام، ومنها ما يدل على درجات عالية ومقامات شريفة..."[٨].

وبعد أن ذكر الشيخ سلطان أقوال الذكر – أي الباب – في حق قرة العين، ومدحها مدحاً كثيراً، قال: "فسمع الملا أحمد وأصحابه شيئاً من تلك البيانات، وردّوها بالشتم والسب بلا بينة ولا برهان، وأنكروا فضل السابقين وأكثروا الطعن فيهم، وقاموا

معنا في مقام الجدال، وأكثروا القيل والقال، وقالوا: ليس كل من راح الى الشيراز صار من السابقين قلنا: نعم كل من راح في تلك الايام التي راحوا بها السابقين لأجل طلب الدين فهو منهم... فقال الملا أحمد "لا يلزم أن يكونوا أيضاً في الرتبة سابقين. قلنا: ان الذكر عليه السلام قال لهم سابقين ولم يقيد ولم يخصص بوقت دون آخر، أو بالظاهر دون الباطن، أو بالتشريع دون التكوين، أو بالشهادة دون الغيب، وقوله صلوات اللّه عليه عام شامل لجميع ما ذكرنا وما لم نذكر، ونحن ليس لنا أن نخصص كلامه عليه السلام بوجه دون وجه، وشيء دون شيء، من قبل أنفسنا ما لم يرد عنه، فان ورد قلنا به، وان لم يرد فوجب علينا أن نأخذ كلامه سلام اللّه عليه على حقيقته وصرافته أيضاً... فقال الملا أحمد: الذي يكون كما تقول – أي من السابقين– لايكون خالياً من العلم، وأنا أرى أني أعلم منهم. قلنا: ليس الميزان هذه العلوم، ولا مدار هذا الأمر عليها، وقد بيّن الذكر صلوات اللّه عليه ان الميزان ليست هي العلم بشيء بل هي الفطرة الخالصة، والحب للّه ولأوليائه، والتوجه الى اللّه في فؤاده وحقيقته، بلا كيف ولا اشارة، ولا علم ولا عبارة... فلما رأى الملا أحمد

وأصحابه ذلك منا قاموا معنا في مقام الجدال، وأكثروا القيل والقال، وبعد ذلك اعتزلوا عنا وصاروا يفترون علينا ويشنعون عند الناس، وينسبونا الى الاقوال الباطلة والعقائد الفاسدة. والناس يجيئون عندنا للتفحص يقولون: ان الملا أحمد وجماعة معهم ينسبون اليكم أنكم تقولون ان الذكر عليه السلام رب من دون اللّه، وان بابه وأول مؤمن به جناب آخوند ملا حسين سلام اللّه عليه هو محمد بن عبداللّه، وان ثاني مؤمن به جناب الملا علي - يقصد البسطامي - سلام اللّه عليه هو علي بن أبي طالب، وأن قرة العين سلام اللّه عليها هي حقيقة فاطمة، وأن السابقين أحد عشر هم الائمة عليهم السلام، وأن الشيخ والسيد خلقا من فاضل جسم السابقين. فلما سمعنا هذه الافتراءات والزور والبهتان علمنا أنهم سعوا في الأرض فساداً بعد اصلاحها، فجمعناهم ليلة في بيت باب اللّه المقدم عليه السلام لاصلاح هذا الفساد، وتبرءاً مما أشاروا اليه من الاعتقاد، وهم الملا أحمد، والملا حسين الخادم في ذلك البيت، والسيد كريم، والسيد علي الخراساني، والحاج صادق، الحاج علي الصائغ، وبعض الجهال والاراذل من أمثالهم، وقلنا لهم يا قوم لم تشيّعون الفاحشة في الذين آمنوا بغير ما

اكتسبوا وتحتملون اثماً كبيراً، اتقوا اللّه ولا تثيروا الفتنة فانها أشد من القتل، وما جمعناكم في هذه الليلة الا لقطع النزاع والخلاف، ونبرء الى اللّه من جميع ما أشرتم من الباطل، وعلى تقدير صحة ذلك نستغفر اللّه العلي المتعال ونريد السكوت بعد هذا المجلس واطفاء الفتنة. فما مضت بعد ذلك الا أيام يسيرة، أقل من اسبوع، واذا هو قد قام بين أصحابه منزهاً لعيبه، مبرءاً لجيبه، ويقول: قد نزل اليّ كتاب من الذكر عليه السلام، ويقول: اني أنا الباب والمرجع للناس. فأخذ البيعة من أصحابه على ذلك، وظل ينادي: أن من لم يدخل الي ويحضر درسي ويأتّم بي فهو من الضالين المرتدين. فقلنا في أنفسنا: يا سبحان اللّه كيف يكون باباً من يدعو الى غير اللّه ويرد على ذكر اللّه صلوات اللّه عليه كلما نزل في فضل أبوابه وأصفيائه السابقين سلام اللّه عليهم. ثم طلب منا الحضور في درسه فأجبناه لذلك، وحضرنا عنده، وقرأنا كتابه ومن جملة ما فيه أنه عليه السلام يوصيه بالعيال حرم باب اللّه المقدم عليه السلام خيراً واحسانا..."(٩).

ثم ذكر الشيخ سلطان كيف ان الملا أحمد أخذ يسيء الى أرملة السيد كاظم التي أوصاه الباب بها خيراً، ومنعها من الحج مع

قـرة العين، وسـعى الى الحكام من أجل ذلك، وأنه حين سـمـعت أرملة السيـد وقـرة العين بذلـك طردتاه ولعنتـاه، غيـر أنه كـان يزداد غـيـاً وأخـذ هو وأصـحـابه يسـبـون السـيـدتين ويتكلمـون عنهـمـا بالكلام القـبيح، وتجرأ أحـد أصـحابه فـخاطب قـرة الـعين قـائلاً لهـا "ياحـمـيـراء"، وقد خـاطبـهـا الملا أحـمـد نفـسـه قـائلاً: "مـا خـالفت حمراؤها صفراءها"، فوقعت السيـدة الأرملة مغشياً عليها من هول مـا أصـابهـا من يـد هذا الظالم، وتمرضت بعـد ذلك، ولم تـسـتطع الذهاب الى الحج[١٠].

ثـم أشار الشيخ سلطان الى تطـور النزاع بينهـم وبين الملا أحـمـد وأصـحابه، فـقـال: "فلمـا رأى هـذا الرجل عـدم قـبـولنا لدرسـه والرد عليـه، ولـم نـكـن اتـبـاع كل ناعق، اجـتـمـع هـو وأصـحـابه علينا وطردونا مرات عـديدة، ونحن نرجع اليهـم ونعتذر منهـم في كـمال الخضوع والمذلة والمسكنة، حتى أن بعضاً منا قبّل يد الملا أحـمـد، كل ذلك امـتـثالاً لأمـر الذكـر عليه السلام حيث أمـر باحـياء بيت باب المقدم عليه السلام لنجتمع هناك ونتلو من الآيات البديعة في اللـيل والنـهـار، ومـا قـبلوا مـنا عـذرنـا، وطردونا بالـسب واللعن، والشـتم والطعن، وأثاروا الفـتنة، وشـيّعـوا الفـاحـشـة، وافـتـروا علينا

الأقوال الباطلة، وأوصلوها الى الأعداء، وألزمونا بيوتنا، وكثر الكلام والسب والطعن علينا من كل مكان، وحركوا الملا حسن گوهر علينا فقام يخطب في كثير من الأيام في مجلسه، ومجلس المرزا محيط، وكل مجلس جلس فيه، بملأ من عامة الناس، وهو يقول: أيها الناس ان هؤلاء الضالين المضلين خربوا الشريعة وأفسدوا في الدين فالواجب عليكم حفظ دينكم والذب عنه بكل ما يمكنكم ولا تسكتوا عنهم واذكروا أحوالهم واعتقاداتهم في جميع المجالس، ليعرفوهم الناس ويجتنبوهم... وظل الملا أحمد وأصحابه يثيرون الفتنة ويضرمون نارها بلا فتور، فكتبوا كتباً عديدة بمضامين مختلفة وعبارات متفاوتة لكل أحد بحسب ما يلائم طبعه ومزاجه، وكتبوا فيها تلك الافتراءات الأولية التي تقدم ذكرها وغيرها، وأرسلوها الى سائر الأمصار والاقطار، ونشروها في جميع الآفاق والبلدان، مثل النجف والكاظمين وسر من رأى وبغداد وشيراز وأصفهان وقزوين وخراسان وغيرها من البلاد، وشوّشوا قلوب أولئك المؤمنين مثل جناب السيد على شبر الكاظمي كتب لي كتابا يقول فيه: قد سمعنا أشياء عجيبة وأموراً غريبة تفتت الأكباد وتهجر العيال والأولاد. وكل هذه الأمور والفتنة صدرت من الملا أحمد وأصحابه...[11].

قرة العين في بغداد

اضطرت قرة العين ازاء تلك الخصومة العنيفة التي شنها عليها الملا أحمد وأصحابه أن تغادر كربلا، فرحلت الى بغداد مع حاشيتها وبعض أصحابها من النساء والرجال. وعند وصولها الى بغداد نزلت في ضيافة أحد المخلصين لها من سكان تلك المدينة هو الشيخ محمد شبل، وهذا الرجل أصله من الكوفة وهاجر الى الكاظمية، ثم انتقل منها الى بغداد في عام ١٨٢٧م، كان وكيلا للسيد كاظم الرشتي في بغداد. فلما نزلت قرة العين في ضيافته أخيراً خصص لها ثلاث دور كان احداها لسكنى النساء من حاشيتها، والثانية لسكنى الرجال، والثالثة لمجلس الدرس[١٢].

والظاهر أن قرة العين وجدت المجال لها في بغداد أرحب مما كان في كربلا، فجلست لالقاء دروسها من وراء ستار وأخذ الناس يقصدونها للاستماع اليها، وكانت في معظم دروسها تنادي بحلول اليوم الذي تُجدد فيه الشريعة وتُنسخ التقاليد البالية[١٣].

وقد حضرت ذات يوم مجلساً كان فيه الوالي نجيب باشا والمفتي أبو الثناء الآلوسي فأذهلت الحاضرين ببلاغتها[١٤].

ظلت قرة العين تلقي دروسها المثيرة في بغداد مدة غير يسيرة من غير معارض. ويبدو أن خصومها في كربلا لم يسكتوا عنها، ولاسيما المرزا محمد حسن جوهر رئيس الشيخيين، فأخذوا يبذلون جهودهم لتحريض الحكومة ضدها. وكان لمرزا محمد حسن صلة حسنة بالوالي واستطاع أن يقنعه بوجهة نظره مما اضطر الوالي أن يكتب الى اسطنبول في شأن قرة العين ثم أمر بحبسها في بيت الآلوسي ريثما يأتي الجواب من هناك.

مكثت قرة العين في بيت الآلوسي شهرين، ولم يكن الالوسي مضيّقاً عليها بل كان يجتمع اليها ويناقشها في أمر دعوتها الجديدة، وكثيراً ما كان يسمح لها بالخروج مع ناظر يرسله معها، فكانت تذهب الى دار الشيخ محمد شبل حيث ينتظرها هناك أتباعها والمعجبون بها فتلقي عليهم ما تشاء من أحاديث ودروس.

وقد أشار الآلوسي في بعض كتاباته الى قرة العين، وكان مما ذكره عنها قوله: "... وهي ممن قلّدت الباب بعد موت الرشتي، ثم خالفته في عدة أشياء منها التكاليف فقيل انها كانت تقول ببوح الفروج ورفع التكاليف بالكلية. وأنا لم أحس منها بشيء من ذلك مع أنها حبست في بيتي شهرين، وكم من بحث جرى

بيني وبينها رفعت فيه التقية من البين. والذي تحقق عندي أن البابية والقّرية - يقصد أتباع قرة العين - طائفة واحدة يعتقدون في الأئمة نحو اعتقاد الكشفية - يقصد الشيخية - فيهم ويزعمون انتهاء زمن التكليف بالصلوات الخمس وأن الوحي غير منقطع فقد يوحي للكامل لكن لا وحي تشريع بل وحي تعليم لما شرع قبل ونحو ذلك، وهو رأي لبعض المتصوفة... وأعظم أسباب ضلالتهم النظر في كلام الرشتي وشيخه الأحسائي مع عدم فهم مقاصدهما منه وحمله على ماهو بعيد عن الدين المحمدي بمراحل ولذا أكفرهم أصحاب هذين الرجلين أيضاً على ما سمعته بأذني من كبارهم..."[١٥].

انشقاق آخر

في تلك الفترة التي كانت فيها قرة العين محبوسة في بيت الآلوسي حدث انشقاق وجدال بين اتباعها الذين هم في بغداد والكاظمية، وكان سبب هذا الانشقاق هو أن قرة العين أخذت تدعو الى تجديد الشريعة الاسلامية والى تبديل بعض تعاليمها وشعائرها، فوافقها على ذلك فريق من اتباعها بينما رفض الفريق الاخر. وقد أشار الى هذا الانشقاق كاتب من اتباعها هو أغا محمد مصطفى البغدادي، وهو ابن الشيخ محمد شبل، في رسالة صغيرة حيث قال ما نصه:

"... وأظهرت سر الظهور وأعلنت نسخ التقليد المهجور وبيّنت تجديد الشريعة الآلهية بشريعة البيان، وكانت في مجلس الأحباء مكشوفة الوجه ولكن في مجلس الأغيار تكلمهم من خلف حجاب. وقد تزلزل بعض الأحباء لما شهدوا نسخ ما كانوا عليه، وأكثرهم استقاموا واعتقدوا بأن اللّه يفعل ما يشاء، والبعض من قصبة الكاظمية تزلزلوا وهم السيد محمد جعفر والسيد حسن

جعفر والسيد علي بشر السيد طه وكاظم الصوفي وقالوا أنهم مؤمنون بحضرة الاعلى - يقصدون الباب - الذي هو ذكر اللّه وأن حضرته لم ينسخ الشرع العتيق ولم يجدد أمراً بل زاد في الاحكام وأكد في الصلاة والصيام وحرم الدخان وأن السيدة قرة العين تجاوزت الحد ونسخت الشريعة التي ورثناها عن الأب والجد بدون أمر من حضرة الاعلى. وكتب أعلمهم السيد علي بشر عريضة قدمها الى (ماه كو) وتشرفت بحضور العلي الاعلى - يقصد الباب - وكان حاملها رجلاً يدعى (نوروز علي) كان خادماً للسيد كاظم الرشتي. فنزل لوح بليغ في جواب تلك العريضة ورجع به (نوروز علي) الى قصبة الكاظمية وسلمه للسيد علي بشر ورفقائه، وتوجه من بغداد الوالد - أي والد المؤلف وهو الشيخ محمد شبل - والأحباء الثابتون واجتمعوا في مجلس واحد يضم ما ينوف عن السبعين شخصاً وقرأوا اللوح المبارك علانية وفيه بيانات مباركة وآيات واضحة الى أن وصل البيان الى قوله تعالى مخاطباً للسائل بشر المتزلزل: (وأما ما سألت عن المرأة التي زكت نفسها وأثرت فيها الكلمة التي انقادت الأمور لها فانها امرأة صدّيقة عالمة عاملة طاهرة، ولا ترد الطاهرة في

حكمها لأنها أدرى بمواقع الأمر من غيرها وليس لك الا اتباعها لأنك لن تقدر أن تطلع بحقيقة شأنها) الى آخر اللوح. فلما سمعه الثابتون فرحوا وحمدوا اللّه على ما هداهم، والمتزلزلون ارتدوا على أعقابهم وكفروا بما آمنوا لأن تجديد الحدود شق عليهم..."[١٧].

ان هذا "اللوح" الذي وصل من الباب الى الكاظمية كان بمثابة وحي منزل في شأن قرة العين وعلو مكانتها، وفيه ورد لقب جديد لها هو "الطاهرة" فصارت قرة العين منذ ذلك الحين تعرف به بين البابين وكان له أثره فيما بعد كما سنأتي اليه.

اخراجها من العراق

عندما وصل الخبر الى قزوين بأن قرة العين محبوسة في بغداد اهتم له عمها ووالد زوجها الملا محمد تقي البرغاني فأرسل الى أحد أرباب النفوذ في كربلا يكلفه بالتوسط لدى الحكومة في اطلاق سراحها. وقد سافر هذا الرجل الى بغداد ليسعى في هذا السبيل، ثم كتب الى الملا محمد تقي رسالة يذكر له فيها نتائج مسعاه. وفيما يلي مقتطفات من تلك الرسالة وهي مترجمة الى اللغة العربية بقلم الشيخ عبود الصالحي حيث يقول فيها مرسلها مخاطباً الملا محمد تقي:

" سيدي الجليل ... سافرت الى بغداد متوجهاً الى دار مفتي بغداد اليوم معالي السيد محمود الآلوسي أفندي، فوجدتها هناك مع ثلاث نساء أخريات وجارية. فطلب الي معالي السيد المفتي شرح حالها وبيان قصتها فقلت: نعم انها امرأة مستورة وهي في كمال الورع والتقوى وقد اعترتها بعض الوساوس الشيطانية وتمكنت منها وسيطرت على دماغها وأفكارها وكان للوسط

الديني الذي تعيشه أثر بالغ في ذلك كله حيث أنها تعيش بين أحضان الورع والتقوى وفي بيت العلم والتقدس. كما سألني معالي السيد المفتي عن تاريخ حياة والدها وحالاته فقلت: انه اليوم رجل ايران الأوحد في العلم والورع. وقد أثر كلامي في نفس معالي المفتي فقال لي سأطلب من معالي الباشا خلاصها والاعتذار لها عما حُيك حولها وذهابها الى أهلها... وهي الآن محترمة ومعززة في دار معالي السيد المفتي وأنا في هذا اليوم الجمعة الموافق لليوم الثامن من شهر ربيع الثاني ذاهب الى بغداد لأجل العمل الجاد في خلاصها وهي مكدرة الخاطر من طرف الملا حسن گوهر... كما أن حضرات الاعيان وعلماء بغداد قاطبة يحترمونها أي احترام ويكنّون لها كل تقدير، وان ما قالوه وأشاعوا عندكم فهو باطل ومحض اختلاق... ولتوضيح الحقيقة حررت الرسالة. وان شاء اللّه تعالى وبحوله وقوته سأنقلها الى داري الخاصة بأي حال من الأحوال، وأرسلها اليكم مع حضرات السادة ان شاء الله ، فليكن خاطركم طيباً ومرتاحاً"(١٨).

وصل الأمر أخيراً من اسطنبول باطلاق سراح قرة العين واخراجها من العراق، فخرج معها لمرافقتها في السفر جماعة من

اتباعها بلغ عددهم الثلاثين كان منهم: الشيخ محمد شبل، وابنه أغا محمد مصطفى وكان في العاشرة من عمره، والشيخ صالح الكريماوي، والشيخ سلطان الكربلائي، والسيد أحمد اليزدي، والسيد محسن الشعرباف الكاظمي، والملا ابراهيم المحلاتي، والحاج محمد الكرادي، وسعيد الجباوي، وعبدالهادي الزهيراوي، وحسن الحلاوي، ودرويش المكوئي، وغيرهم.

قرة العين في كرمانشاه

خرجت قرة العين من بغداد فيما يشبه الموكب الكبير، فقد كانت هي والنسوة اللواتي معها يركبن الهوادج بينما كان الرجال من أتباعها يمتطون الخيول. وبعد سفر طويل وصلوا الى كرمانشاه، وقد أعطانا أغا محمد مصطفى في رسالته الصغيرة وصفاً مسهباً للضجة التي أحدثتها قرة العين في تلك البلدة. وفيما يلي ننقل عنه خلاصة لما جرى هناك.

عندما وصلت قرة العين الى كرمنشاه أمرت بالنزول في ثلاثة منازل حيث خصصت أحدها لها ولمن معها من النساء وبعض العلماء، وخصصت الثاني لعامة الاتباع، أما الثالث فخصصته لاجتماع الناس وتبليغهم بالدعوة. وفي اليوم التالي لوصولها أوعزت بفتح أبواب المنزل الثالث فحضر فيه أكابر البلدة وأمراؤها وخوانينها وتجارها حتى ضاقت الساحة بهم على اتساعها، ونهض الشيخ صالح الكريماوي يتلو عليهم شرح "سورة الكوثر" بالعربية، ووقف على يمينه الشيخ محمد شبل والملا ابراهيم المحلاتي والشيخ سلطان الكربلائي يترجمون ذلك الى الفارسية.

وقد ارتجت البلدة بأسرها للأمر فكان الازدحام يكثر حول منزلها حتى تضيق الأزقة بالناس، وكانت النساء يأتين اليها نهاراً فتقرأ عليهن الآيات الجديدة وأسرارها، وفي المساء يأتي اليها بعض العلماء والامراء فيقابلونها من وراء ستار ويستمعون الى حديثها ثم يخرجون منها متحيرين، وبعضهم يخرج منجذباً. وكانت الاسئلة ترد اليها في كل يوم من العامة والعلماء فتكتب الأجوبة بسرعة.

لم يتحمل المتعصبون من رجال الدين هذا الوضع وانزعجوا منه، فكلموا كبيرهم أغا عبدالله البهبهاني في ذلك وطلبوا منه الرد على قرة العين واجابة المسائل التي تثيرها بما يفحمها، فذهب البهبهاني الى الأمير حاكم البلدة وطلب منه اخراج قرة العين هي وأصحابها من البلدة، واستدعى الحاكم قرة العين الى قصره فذهبت اليه برفقة الشيخ سلطان الكربلائي والملا ابراهيم المحلاتي وبضع نسوة من حاشيتها، وأخذ الأمير يحاورها فعرض عليها شكوى العلماء وأنهم يطلبون معرفة الهدف الذي تسعى اليه، فأجابت قرة العين: أن الهدف هو البشارة بظهور القائم الموعود وان الدليل على ذلك هو الآيات التي جاء بها. وكان أغا عبدالله البهبهاني حاضراً في المجلس فقال يتحدّاها بأنه يطلب دليلاً غير

هذه الآيات، فأجابته أنها تطلب "المباهلة" منهم حيث يجتمعون كلهم معها في مكان يعيّنه الأمير، ثم يتباهلون ويجعلون لعنة الله على الكاذبين، وبذا تكون النتيجة أن يموت المبطل في مكانه.

أظهر الأمير السرور بهذا الطلب، وأوعز الى البهبهاني بان يعين موعداً للمباهلة غير أن البهبهاني اعتذر بأنه مريض وأنه سيحضر المباهلة متى تم له الشفاء من مرضه. ثم خرج بعدئذ من البلدة واختفى في بستان خارجها.

وكتب البهبهاني رسالة الى عم قرة العين في قزوين يخبره بما فعلت ابنة أخيه في كرمانشاه من اظهار أمر الباب ونسخ الشريعة. وبعد مرور خمسة عشر يوماً على ذلك وصل الى كرمانشاه أربعة رجال من اقرباء قرة العين واتفقوا مع قائد العسكر السرتيب صفر علي على تسفير قرة العين عنوة. وقبل شروق الشمس من اليوم التالي أحاط الجنود بالمنازل الثلاث التي كانت قرة العين تنزل فيها مع أصحابها، فأخرجوا الأمتعة منها وحملوها على بغال كانوا قد أعدوها من قبل، فخرجت اليهم قرة العين وهي متحجبة تنادي فيهم: "قد ظهر الموعود أيها الغافلون، قد ظهر الرب الودود وأنتم ميتون!" فحدث هرج ومرج، ثم حصل اعتداء على الشيخ صالح الكريماوي والشيخ سلطان الكربلائي والملا ابراهيم المحلاتي(١٩).

قرة العين في همدان

توجهت قرة العين مع أصحابها نحو همدان. والمعروف عن سكان هذه البلدة ان الكثير منهم كانوا شيخيين، فلما سمعوا بقدوم قرة العين عليهم استعدوا لاستقبالها والاحتفاء بها باعتبارها شيخية مثلهم. وقد مكثت قرة العين في همدان تسعة أيام كانت في خلالها تسعى بحماس لنشر الدعوة الجديدة، فتأثر بها عدد من النساء والرجال.

وكان من بين الذين تأثروا بها في همدان اثنان من أحبار اليهود هما الملا الياهو والملا لالازار، فقد عرضت قرة العين على هذين اليهودين آيات من التوراة وكتب الأنبياء فيها اشارة الى ظهور الباب فتعجبا من سعة اطلاع قرة العين على الكتب المقدسة، ولما ألقيا عليها الاسئلة المختلفة في هذا الأمر أجابتهما بما اقنعهما. وكانت تلك البذرة الأولى لانتشار الدعوة البابية بين اليهود[٢٠].

وأرادت قرة العين أن تجتذب اليها كبير المجتهدين في همدان فأرسلت اليه الملا ابراهيم المحلاتي برسالة تدعوه فيها الى التصديق

بظهـور الموعـود وتبـرهن له علـى صـحـة ذلـك بالآيات والأحـاديث "الصـحيـحة" . وحين دخل الملا ابراهيم الى مـجلس المجتـهد وسلـمه الرسـالة استـشاط هذا غـضبـاً وأخذ يلعنه بأشنع الألفـاظ، فرد عليـه الملا ابراهـيم ينصـحـه قـائلاً: "لـيس من شـأن أهل العـلم والعـرفـان مقـابلة الدليل والبرهان باستعمـال لسان الطعن والقـدح"، فاضطرم المجتهد حنقاً عليه وأمر بضربه واهانته، فهجم الطلبة عليه وأوسعوه ضـرباً ثـم سـحبـوه وألقـوا به خـارج المنزل. وحـمله بـعض النـاس الى دار قـرة العين، فلمـا رأته بتلـك الحـالة أظـهـرت الســرور وقـالـت له: "طوبى لك وصلى الله عليك بما قـدمت نفسـك فداء لاعلاء كـلـمة ربك الأعلى" ثـم أمرت الاصحاب بمعـالجته، وظل هو طريح الفراش سبعة ايام حتى تماثل للشفاء[٢١].

قرة العين تهجر زوجها

غادرت قرة العين همدان قاصدة الى بلدتها وموطن أسرتها قزوين، وعندما وصلت اليها نزلت في بيت والدها ولم تذهب الى بيت زوجها الملا محمد، فأرسل اليها زوجها نسوة لاقناعها بالعودة الى بيته غير أنها رفضت باصرار أن تستجيب له وقالت للنسوة: "قولوا لهذا القريب الأحمق المغرور لو كان قصدك حقاً أن تكون رفيقاً لي وزوجاً لكنت أسرعت لمقابلتي في كربلا ولسرت على قدمك لحراستي وحراسة هودجي طول الطريق الى قزوين، واذ ذاك كنت أثناء سفري معه أقدر أن أوقظه من نوم غفلته وأظهر له طريق الحق. ولكن ذلك لم يقدر عليه، وقد مر على فراقنا ثلاث سنوات فلا يمكن له في هذه الحياة ولا في الحياة الآخرة أن أجتمع به فقد طرحته كلية من حياتي للابد"(٢٢).

ان هذا العمل الذي قامت به قرة العين اذ هي هجرت زوجها خلافاً للتقاليد الشرعية والعرفية السائدة كان بمثابة سلاح ماض في يد خصومها فوجهوا اليها نقداً شديداً وألصقوا بها شتى

التهم. وقد حاول أحد المؤلفين البهائيين تبرير هذا العمل فقال في ذلك ما نصه: "ولا يخفى أن سيدة مثل قرة العين بذّت الرجال في العلم والعرفان، وذاقت روحها حلاوة شهد الفضل والايقان، وأدهشت كل من سمع بياناتها الفائضة من لسانها الطلق، لن تقبل قط أن تقيم صاغرة كسائر النساء في منزل قرينها المستبد المنتقد لجميع أعمالها وأقوالها وسلوكها، وتقبع في كسر بيتها مكتفية بالاشتغال في بسائط الأمور المنزلية، وتجعل نفسها أسيرة في يد شخص فيه من الأطوار والأخلاق مثل ما كان عليه ابن عمها هذا. فلا جرم لم تقبل بوجه من الوجوه أن تجيب هذا الطلب ورفضته الرفض البات، ووقع حينئذ فراق البينونة بينهما، وصرفت النظر عن أولادها وتركتهم"(٢٣).

مقتل الملا محمد تقي

كـان هذا القـرار الحـاسم الـذي اتخـذته قـرة العين في هجـران زوجها سبباً في نشوب خصام شديد بينها وبين والد زوجها الملا محمد تقي الذي كان كبير علماء قزوين كما أسلفنا. وقد حاول والد قرة العين التوفيق بين بنته وأخيه فلم يوفق واضطر الى الاعتزال وترك الأمور تجري لمقاديرها.

صار الملا محمد تقي يصعد المنبر بعد كل صلاة فينهال باللعن والطعن على الشيخ أحمد الاحسائي والسيد كاظم الرشتي وكل من اتبعهما من البابين وغيرهم. وانتشر الهياج من جراء ذلك بين العامة فأخذوا يطاردون الشيخيين والبابيين جميعاً ويعتدون عليهم. ومن القصص التي تروى في هذا الشأن أن أحد الشيخيين تجرأ في تلك الآونة فأعلن مدح الاحسائي والرشتي وأظهر فضائلهما، ولما سمع الملا محمد تقي بأمره حكم عليه بالكفر وبطرده من البلدة، فتجمع العامة عليه ونزعوا عمامته ثم ربطوا عنقه بها وأخذوا يسحبونه في طرقات البلدة حافياً وينهالون عليه

بضرباتهم وشتائمهم[٢٤]. ويُروى عن رجل آخر اسمه الملا جليل الأرومي أنه كان يتجول في البلدان يبشر بظهور الباب، ولما مر بقزوين وعلم به الملا محمد تقي أمر بعض طلبته فقبضوا عليه وجاؤا به الى داره، ثم أمر بوضعه في "الفلقة" وبضربه على رجليه[٢٥].

لم يمض على ذلك سوى مدة قصيرة حتى هجم رجل مجهول على الملا محمد تقي وهو يصلي في المسجد فجراً فطعنه بالخنجر طعنات كانت القاضية عليه[٢٦]. فارتجت البلدة كلها لمقتله وذهب ابنه الملا محمد الى دار الحكومة وقد شق ثوبه وهو يبكي وينتحب فأحدث هياجاً بين العامة واشتعلت نيران الفتنة وصارت حياة الشيخيين والبابيين في خطر شديد[٢٧].

ومما يلفت النظر في هذا الصدد أن قرة العين كانت قبل مقتل عمها بأيام معدودة قد أوعزت الى أصحابها بمغادرة قزوين والعودة الى مواطنهم اذ قالت لهم: "لابد من وقوع زلزلة عظيمة ترج منها قزوين وتسفك دماؤكم جميعاً، وان اللّه يريد بكم خيراً في المستقبل..."، غير أنها استثنت من أصحابها رجلين هما الشيخ صالح الكريماوي والملا ابراهيم المحلاتي وقالت لهما ان الشهادة

لهما قد حانت[٢٨].

وقد تحققت نبوءة قرة العين، فكان الشيخ صالح الكريماوي من أوائل المتهمين بقتل الملا محمد تقي، فسيق الى طهران وقتل في الميدان الذي يقع في وسطها، وهو يعتبر أول من سفك دمه في سبيل الدعوة الجديدة في ايران. ثم هجم الغوغاء في قزوين على متهمين آخرين كان منهم الملا ابراهيم المحلاتي فقطعوا أجسامهم اربا اربا[٢٩]. أما قرة العين فقد سُجنت في حرم سراي الحاكم تحت المراقبة الشديدة، فلبثت في ذلك مدة، ولكنها استطاعت أن ترسل رسالة الى المرزا حسين علي النوري في طهران تستنجد به[٣٠]، وكان هذا الرجل من ذوي الثراء والنفوذ ومن السابقين في اعتناق الدعوة البابية وكان الباب قد منحه لقب "بهاء اللّه". فاستطاع أن يبعث الى قرة العين من تمكن من تهريبها من قزوين وجاء بها الى طهران، فأخفاها في بيته. وظلت قرة العين مختفية في بيت بهاء الله الى أن تقرر عقد مؤتمر "بدشت" قرب خراسان فرحلت للمشاركة فيه.

مؤتمر "بدشت"

ان "بدشت" مكان تكثر فيه المروج والبساتين يقع على نهر شهرود بين مازندران وخراسان. وقد قرر البابيون عقد مؤتمر لهم فيه على أثر اعتقال الحكومة للباب في قلعة "ماكو" وهم انما اختاروا هذا المكان لبعده عن مزدحم الناس وتطفلهم. وكان الغرض من عقد المؤتمر هو للمداولة في أمرين، أولهما كيف يمكن انقاذ الباب من معتقله، والثاني هل تنسخ أحكام الشريعة الاسلامية أم تبقى على حالها. وقد انعقد المؤتمر في حزيران من عام ١٨٤٨م وحضره أقطاب البابيين من مختلف البلدان الايرانية فبلغ عددهم واحداً وثمانين كان فيهم قرة العين وبهاء الله، ولم يتغيب منهم سوى "باب الباب" أي الملا حسين البشروئي لانشغاله بأمر آخر في خراسان.

الواقع أن مؤتمر "بدشت" مهم جداً اذ هو يفصل بين عهدين في تاريخ الدعوة البابية. فقد كانت هذه الدعوة قبل مؤتمر "بدشت" تعتبر فرقة من الشيخية لا تختلف عنها الا في بعض

الجزئيات التي لا أهمية لها، أما بعد المؤتمر فقد أصبحت الدعوة البابية فرقة قائمة بذاتها أو هي بعبارة أخرى أصبحت دينا جديداً.

يبدو أن المشتركين في المؤتمر لم يهتموا بأمر انقاذ الباب بمقدار ما اهتموا بالأمر الثاني وهو: هل تنسخ الشريعة الاسلامية أم تبقى على حالها. وتشير القرائن الى أنهم منذ بداية المؤتمر انقسموا الى فئتين مختلفتين: احداهما ترى وجوب نسخ الشريعة، والأخرى ترى وجوب الابقاء عليها.

كانت قرة العين على رأس القائلين بوجوب نسخ الشريعة، وكان رأيها أن الباب أعظم مقاماً من جميع الانبياء الذين سبقوه وأن له الحق في نسخ الاحكام الاسلامية القديمة والاتيان باحكام جديدة. أما المعارضون لهذا الرأي فكان على رأسهم محمد علي البارفروشي وهو الشاب الذي رافق الباب في رحلة الحج ومنحه الباب لقب "القدوس"، وكان ذا منزلة رفيعة لدى البابيين ويعده البعض منهم في مقام الملا حسين البشروئي أو هو أرفع مقاماً منه. وقد وقف هذا "القدوس" يعارض قرة العين معارضة شديدة وتابعه الكثير من البابيين، وكان رأيه أن الباب ليس سوى مروج للشريعة

الاسلامية ومصلح لها مما طرأ عليها من الفساد والابتداع، ولهذا فهي يجب أن تبقى على ما كانت عليه في الكليات والجزئيات جميعاً[٣١].

بينما كان الخلاف يشتد في المؤتمر بين قرة العين والقدوس كان بهاء اللّه ساكتاً ويبدو أنه اتخذ موقف الحياد بين الفريقين وبقي ينتظر ما تتمخض عنه الايام. وظلت قرة العين تكافح في سبيل رأيها وتسعى الى اجتذاب القوم اليها بكل جهدها، فهي كانت تعلم علم اليقين أن رأيها لو تحقق لانفض عن الدعوة البابية الكثير من اتباعها، ولكنها أصرت على الرأي بالرغم من ذلك وأعلنت قائلة: "ان هذا العمل سيبرز الى ساحة الوجود لا محالة وسيطرق هذا القول اذن العام والخاص، اذن فكلما أسرعنا في الكشف عن هذه الغوامض كان أليق وأوفق وأنفع للأمر وللعمل الذي نقوم به حتى ينفصل عنا كل ضعيف لا يحتمل التجديد ولا يبقى معنا الا كل قوي مخلص يفدي بنفسه هذا السبيل القويم البديع"[٣٢].

عزمت قرة العين أخيراً أن تقوم بعمل تحسم به الجدال الذي استفحل بين القوم، ففي أحد الايام بينما كان القدوس وأكثر القوم مجتمعين في خيمة بهاء الله فاجأتهم قرة العين وهي تدخل

عليهم سافرة الوجه ومتزينة، وكان هذا على خلاف عادتها اذ كانت قبلئذ متمسكة بالحجاب الشديد على طريقة النساء في زمانها، وكأنها أرادت بعملها هذا أن تنسخ حكماً من أحكام الشريعة هو تحريم التبرج الذي نزل به القرآن.

أثار دخول قرة العين على القوم بهذه الصورة ذهولاً عظيما. يقول صاحب كتاب "مطالع الانوار" في وصف ماحدث: "فأخذت الناس الدهشة ووقف الكل حائرين أمام هذا المنظر الغير منتظر. وكانوا يظنون أن رؤيتها غير محجبة من أكبر المحال وأن النظر الى خيالها وظلها غير جائز لأنهم يعتبرونها مظهر فاطمة الزهراء ورمزاً لعصمة الطهارة في نظرهم"(٣٣).

حاول بعضهم اخفاء وجوههم بأيديهم، ووضع آخرون رؤوسهم تحت عباءاتهم لكي لا يقع نظرهم على وجه قرة العين، ولم يملك واحد منهم نفسه فعمد الى رقبته فحزها بسكين كانت بيده ثم خرج من المجلس والدماء تنزف منه وهو يصرخ مهتاجاً، واقتدى به آخرون فخرجوا وراءه ولم يرجعوا اذ هم انفصلوا عن الدعوة وعادوا الى عقيدتهم القديمة. أما الذين صمدوا فقد وقفوا بلا حراك وهم متحيرون في أمرهم لايدرون ماذا يفعلون. أما

القدوس فقد استل سيفه وهو في غضب شديد كأنه يريد أن ينقض على قرة العين ليقتلها.

لم تتأثر قرة العين بما جرى ولم ترهب سيف القدوس بل قامت تخطب في الحاضرين بكل جرأة وبلاغة. يقول صاحب كتاب "مطالع الانوار" انها وقفت وقد أضاء وجهها بشعور الفرح والغبطة والنصر وأخذت تخطب ارتجالاً باسلوب شبيه بأسلوب القرآن، ثم قالت: "اني أنا الكلمة التي ينطق بها القائم والتي تفر منها نقباء الأرض ونجباؤها"، والتفتت نحو القدوس تلومه على عدم طاعته لها، ثم وجهت كلامها الى الجميع حيث طلبت منهم أن يحتفلوا بهذه المناسبة السعيدة، وقالت: "ان هذا اليوم يوم عيد وسرور عام وهو اليوم الذي تفك فيه قيود الماضي. فليقم كل من يشترك في هذا المجد ويعانق صاحبه"[٣٤].

ان هذا الموقف الجريء الذي وقفته قرة العين حسب رواية "مطالع الأنوار" يرويه خصوم البابية بشكل آخر، يقول صاحب كتاب "مفتاح باب الابواب" ان قرة العين صعدت المنبر في المؤتمر وخطبت قائلة:

"اسمعوا أيها الأحباب والأغيار... واعلموا أن أحكام الشريعة

المحمدية قد نسخت الآن لظهور الباب، وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل الينا ، وان اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو وفعل باطل، ولا يعمل بها بعد الآن الاّ كل غافل وجاهل، ان مولانا الباب سيفتح البلاد ويسخر العباد، وستخضع له الأقاليم السبع المسكونة، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة، حتى لا يبقى الا دين واحد، وذلك الحق هو دينه الجديد، وشرعه الحديث، الذي لم يصل الينا الى الآن منه الا نزز يسير. فبناء على ذلك أقول لكم وقولي هو الحق: لا أمر اليوم ولا تكليف، ولا نهي ولا تعنيف، وأنّا نحن الآن في زمن الفترة، فاخرجوا من الوحدة الى الكثرة، ومزّقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم، بأن تشاركوهن بالأعمال، وتقاسموهن بالأفعال، واصلوهن بعد السلوة، واخرجوهن من الخلوة الى الجلوة، فما هن الا زهرة الحياة الدنيا، وان الزهرة لابد من قطفها وشمها، لأنها خلقت للضم وللشم، ولا ينبغي أن يعد ولا يحد شاموّها بالكيف والكم، فالزهرة تُجنى وتُقطف، وللأحباب تُهدى وتُتحف، وأما ادخار المال عند أحدكم وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال، فهو أصل كل وزر

وأساس كل وبال، لأنه لم يخلق لنفس واحدة تتلذذ به من حيث يتحسر المحروم، بل هو حق مشاع غير مقسوم، جعل للاشتراك بين الناس، وللتداول من دون احتكار ولا اختصاص، فليشارك بعضكم بعضاً بالأموال، ليرفع عنكم الفقر ويزول الوبال، ساووا فقيركم بغنيكم، ولا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم، اذ لا رادع الآن ولا حد، ولا منع ولا تكليف ولا صد، فخذوا حظكم من هذه الحياة، فلا شيء بعد الممات"(٣٥).

اننا لا نستطيع أن نسلم بصحة هذه الخطبة تسليماً تاماً، فهي مروية بقلم أحد الخصوم ومن طبيعة الخصم أنه ميال للمبالغة في ذكر الحقيقة أو اختلاق الأكاذيب فيها كما لايخفى. ومهما يكن الحال فقد أجمع الرواة – البابيون وخصومهم جميعاً – على أن الخطبة أحدثت نزاعاً شديداً بين الحاضرين، فقد تعصب فريق منهم الى رأي قرة العين بينما تعصب آخرون الى رأي القدوس. وقد وصف كتاب "مطالع الانوار" هذا النزاع الشديد الذي حدث بين البابيين فقال ما نصه:

"وحصل اضطراب عظيم بين الذين قاموا على نشر هذا الاصلاح بكل جهدهم. وكان بعضهم لا يوافق على حصول مثل

هذا التغيير الأساسي وظنوا أنه عين الكفر وامتنعوا أن ينسخوا ما يعتبرونه أعظم أحكام الاسلام التي لا تنسخ، وطائفة اعتبرت أن قول الطاهرة هو الفصل في مثل هذه الأحوال وأن طاعتها واجبة على جميع المؤمنين، وتمسك البعض ممن امتعضوا من تصرفها مع القدوس واعتبروه أنه هو الممثل والنائب عن الباب والوحيد الذي يحق له أن يحكم في مثل هذه الأمور الخطيرة، ونظر فريق غير هؤلاء الى الحادثة بأجمعها أنها عبارة عن امتحان الهي لفصل الصادقين من الكاذبين، والمؤمنين عن الكافرين. وكانت الطاهرة في كثير من الأحيان ترفض اطاعة القدوس وتقول: (اني اعتبر القدوس تلميذاً أرسله اليّ الباب لتعليمه وتهذيبه ولا أنظر اليه بنظر آخر). ولم يمتنع القدوس أن يتهم الطاهرة أنها صاحبة هذه الفتنة وادّعى أن الذين يدعون الى رأيها وقعوا فريسة للخطأ. واستمرت حالة المشادة بين الاثنين بضعة أيام الى أن توسط بهاء اللّه وبطريقته المثلى وفّق بينهما تماماً، ولمّ شعثهما، ولأم الجرح الذي سببه هذا الهياج والنزاع الحاد، وبذلك وجّه همة كل منهما الى طريق الخدمة المنتجة. وحصل المقصود من هذا الاجتماع المنشود، لأن النداء بالنظام الجديد كان بمثابة النفخ بالصور،

فمسخت التقاليد العقيمة المجمع عليها والتي كانت تقيد ضمائر الناس، ومُحيت بكل جسارة وبغير وجل. فتهيأت الطريق لاعلان الأحكام والقواعد الجديدة التي جاء بها الأمر الجديد. وعزم بقية الجمع المحتشد في بدشت على الرحيل الى مازندران. ورحل القدوس مع الطاهرة في هودج واحد أعده لسفرها بهاء الله. وفي الطريق كانت الطاهرة تنظم قصيدة وتأمر الأصحاب أن ينشدوها أثناء سيرهم خلف الهودج، وكانت الجبال والأودية تردد أصوات وأناشيد ذلك الجمع المتحمس أثناء سفرهم ايذاناً بمحو القديم وبعث اليوم الجديد"[٣٦].

فترة النسخ

مهما يكن الحال فقد مرت الدعوة البابية بعد مؤتمر "بدشت" بفترة سميت "فترة النسخ"، وهي المرحلة التي نسخ الباب فيها الشريعة القديمة ولم يأت بعد بالشريعة الجديدة. ويبدو أن بعض البابيين استغلوا تلك الفترة فاندفعوا في الشهوات اندفاعاً غير محمود. ورد في كتاب "مطالع الانوار" في هذا الموضوع ما نصه: "...وأثناء سفرهم الى مازندران أراد بعض الاتباع أن يسيئوا استعمال الحرية التي نتجت عن نسخ الشرائع القديمة وظنوا أن في طرح الطاهرة للحجاب اشارة منها للتجاوز عن حدود الآداب واشباع الأغراض النفسية. وسبّب هذا التعدي الواقع من هؤلاء البعض غضب المولى وأوجب تفريقهم وتشتيتهم. ففي قرية نيالا امتحنوا امتحانا شديداً وأصيبوا بأضرار جسيمة من يد أعدائهم، وكان هذا التشتيت جزاءاً وفاقاً لذلك الافراط الذي ظهر من هذا النفر القليل من غير المسؤولين من بين الاتباع المؤمنين، وحُفظ الأمر طاهراً نقياً معززاً في شرفه"(٣٧).

ويروي لنا مؤلف "مفتاح باب الأبواب" ما الذي جرى في قرية "نيالا" فيقول: ان قرة العين عندما وصلت مع أصحابها الى تلك القرية دخلت الى الحمام مع القدوس ابتغاء الراحة من وعثاء السفر، "وسمع بهم أهل القرية وبما هم فيه، فتجمعوا زرافات ووحدانا، وتسلحوا وهجموا عليهم، وفرقوا شملهم، وقتلوا منهم نفراً معدودين، وجرحوا جماعة، وأخذوا أموالهم، وسلبوا أحمالهم، ثم أطلقوا سبيلهم وهم عراة حفاة..."(٣٨).

ان هذه الرواية التي جاءت في كتاب "مفتاح باب الابواب" ينكرها البابيون والبهائيون انكاراً تاماً ويعدونها من أكاذيب الخصوم. ويعلق عليها السيد كامل عباس الذي كان سكرتير المحفل البهائي ببغداد سابقاً فيقول: ان قرة العين كانت موضع ثقة العلماء وقد شهدوا بطهارتها في كل أدوار حياتها، أما ما ورد في كتاب "مفتاح باب الابواب" فهور مختلق وملفق(٣٨).

وقد تحدث كاتب هذه السطور الى السيد كامل عباس فسأله عن "فترة النسخ" وهل هي تشمل قواعد الزواج والطلاق مثلاً، فكان جوابه: أن الفترة شملت التكاليف التعبدية فقط كالصوم والصلاة ونحو ذلك، أما التعاليم الاخلاقية فلم يحدث فيها أي

تبديل أثناء الفترة لأن الأديان كلها تتشابه في الاخلاق فلا فرق بين القديم والجديد منها.

وقد ذكر المستشرق براون أنه أثناء جولته في ايران في عام ١٨٨٨م قابل رجلاً متحرراً ينتسب الى النحلة البابية، وقد جر الحديث بينهما الى موضع قرة العين وما يتهمها به الخصوم من وجود علاقة مريبة لها مع القدوس، فقال الرجل مدافعاً عنها: انهم يتهمون قرة العين بعدم العفة وهذا افتراء اذ هي جوهر الطهارة، ولكن ما يتهمونها به ربما وقع أثناء فترة النسخ اذ هي عاشرت القدوس معاشرة الازواج، غير أنها بعد نزول الشريعة الجديدة صارت هي وجميع الاتباع متمسكين بها كل التمسك[٣٩].

مصير قرة العين

في ٩ تموز من عـام ١٨٥٠م أعـدم البـاب في تبـريـز بناء على فتاوي صدرت من علماء تلك المدينة. وقد أثار مقتله حنق بعض أتباعه فصمموا على اغتيال الشاه ناصر الدين اخذاً بثاره. وفي ١٥ آب من عام ١٨٥٢م بينما كان الشاه يتريض خارج قصره عند سفح جبل شمران تقدم نحوه رجلان وبيد أحدهما عريضة وهما يصرخان "الظليمة الظليمة، الغوث الغوث"، فلما مد الشاه يده لتسلم العريضة عاجله الثاني بطلق ناري أصاب فخذه اصابة خفيفة، وسرعان ما تداركه الحرس فقتلوا أحد الرجلين وأمسكوا بالثاني جريحاً. وكانت محاولة الاغتيال هذه ايذانا ببدء حملة واسعة النطاق في انحاء ايران للبحث عن البابيين وقتلهم، وقد ذهب الكثير من الابرياء ضحايا من جراء اتهام الخصوم لهم بأنهم من البابيين.

شهدت طهران آنذاك ضروباً من التعذيب والقسوة الفظيعة اشترك فيها الأهالي والحكومة معاً. قيل ان البابيين الذين اعتقلوا

في طهران وزعوا على مختلف طبقات الناس، فأخذ كل منهم حصته من البابيين وشهروهم في طرقات المدينة وأهانوهم وعذبوهم ثم قتلوهم(٤٠). وروى سايكس أن بعض البابيين قُطّعوا بالفؤوس، وعندما أعطي طبيب الشاه الفرنسي حصته من البابيين رفض تقطيع ضحيته بالفؤوس حيث اعتذر قائلاً: انه قتل بحكم مهنته من الناس ما فيه الكفاية وهو لايريد أن يضيف الى القائمة ضحايا جديدة(٤١).

كانت قرة العين من جملة الذين القي القبض عليهم غير أنها أودعت لدى محافظ مدينة طهران محمود خان كلانتر. ومما يلفت النظر أنها لم تراع الظروف الارهابية المحيطة بها فكانت طلية فترة اعتقالها في دار المحافظ دائبة على التبشير بالدعوة البابية. انها كانت تنتهز مناسبات الولائم والمجالس النسائية التي تعقد في تلك الدار لتلقي فيها أحدايثها المثيرة. والظاهر أن وجود قرة العين في تلك الدار جعل النساء يتهافتن عليها ليحظين بمشاهدة تلك المرأة المشهورة التي أصبح اسمها على كل لسان. وأخذت قرة العين تضرب على أوتار قلوب النساء وتظهر لهن المنزلة الواطئة التي خصصها رجال الدين القديم للمرأة وكيف أن الدين الجديد

رفع من شأن المرأة ومنحها حريتها.

أرسل الصدر الأعظم الى قرة العين رجلين من العلماء، هما الملا محمد أندرماني والملا علي كيني، من أجل امتحانها وكتابة تقرير عن عقيدتها الدينية لكي يتخذ الاجراء المناسب لها. وقد عقد الرجلان معها سبع جلسات لامتحانها، فكانت هي في كل جلسة تناقشهما بحماس وتبرهن لهما أن الباب هو الامام المنتظر الموعود، وكان ردهما عليها أن الامام المنتظر يجب أن يظهر من مدينتي "جابلقا" و"جابرسا" حسبما ورد في المصادر الدينية، فكانت تجيبهما بأن هذا باطل محض اخترعه الرواة الكذابون وأن المدينتين المذكورتين لا وجود لهما مطلقاً وما هما سوى خرافة تليق للمجانين، ثم قالت بتأثر: "ان الأدلة التي تسوقانها هي أشبه بأقوال طفل غبي جاهل، فإلى متى تسيران وراء هذه الأكاذيب والخرافات الجنونية، والى متى لا ترفعان رأسكما لتريا شمس الحقيقة". فغضب الملا علي من هذه الاقوال ونهض قائلا لصاحبه: "ما هي الفائدة من زيادة البحث والمناقشة مع كافرة!". ثم خرجا وكتبا تقريراً ذكرا فيه أن قرة العين قد ارتدّت وكفرت ورفضت التوبة وأنها تستحق القتل عملا بحكم القرآن[٤٢].

واختلفت الأقوال في الكيفية التي قتلت بها قرة العين، فمن قائل: انها وضعت في فوهة مدفع واطلقت عليها قنبلة مزقتها اربا اربا[٤٣]، ومن قائل: انها رُبطت من شعرها بذيل بغل فسحبت الى المحكمة وهناك صدر الحكم باحراقها حية غير أن الحكومة أوعزت بتأخير الاحراق الى ما بعد موتها، فخنقت ثم ألقيت جثتها الى النار[٤٤]. ويروي المستشرق براون نقلاً عمن سمع من محمود خان كلانتر: أن الشاه استدعى قرة العين الى قصره في نيگارستان وطلب منها التبري من الباب ولما رفضت قرة العين ذلك وأصرت على الرفض أمر الشاه بالقائها في بئر كانت في حديقة القصر، ثم ألقيت فوقها أربعة أحجار ضخام، وهيل عليها التراب[٤٥]. أما صاحب كتاب "مطالع الأنوار" فيذكر: أن قرة العين أُخذت من دار المحافظ الى حديقة الايلخانة، وهي حديقة كانت موجودة في ذلك الحين مقابل السفارة البريطانية، فخُنقت بمنديل من الحرير قدمته هي بنفسها الى جلادها، ثم أنزلت في بئر كانت قد حفرت هنالك حديثًا، وهيل عليها التراب[٤٦].

كلمة تقييم

حين نستقرىء سيرة قرة العين منذ بداية أمرها حتى ساعة مقتلها نشعر بأنها امرأة ليست كسائر النساء، فهي علاوة ما تميزت به من جمال رائع كانت تملك ذكاءاً مفرطاً وشخصية قوية ولساناً فصيحاً، وتلك صفات أربع قلما اجتمعت في انسان واحد، وان هي اجتمعت فيه منحته مقدرة على التأثير في الناس وجعلته ممن يغيرون مجرى التاريخ.

وصفها الكونت دي غوبينو في كتابه "الأديان والفلسفات في آسيا الواسطى"، وهو قد زار ايران بعد مقتل قرة العين بمدة قصيرة، فقال: "... كان الكثير من الذين عرفوها وسمعوها في أوقات مختلفة من حياتها يذكرون لي دائماً أنها فضلاً عما اشتهرت به من العلم والغزارة في الخطب فان القاءها كان من السهل الممتنع وكان الناس أثناء تكلمها يشعرون باهتزاز وتأثير الى أعماق قلوبهم مفعمين بالاعجاب وتنهمر دموعهم من الآماق"[(٤٧)].

وكذلك وصفها صاحب كتاب "مفتاح باب الابواب" فقال:

"وقصارى القول ان هذه الفتاة كانت آية الجمال والكمال، وفريدة رصيفاتها بالحسن والاعتدال، طلقة اللسان، فصيحة البيان، عذبة المنطق، شهية الكلام، جسوراً مقدامة، ومن منظومها بالفارسية والعربية ما يطرب الأديب، ويخلب لب الأريب، ولكن قضى عليها سوء الحظ ونكد الطالع (ان صح جميع ما يقال عنها) أن تحيد عن محجة الحق والصواب، وتميل عن منهج الهدى والثواب، وتأتي بما تمجه نفوس أولي الألباب، حتى ترتكب ما أطفأت به نور جمالها الزاهي الزاهر، ومحقت بدر كمالها البهي الباهر، ولله الأمر في الأول والآخر"(٤٨).

الملاحظ من خلال سيرتها أنها كانت شديدة الميل الى التجديد في العقيدة، فهي قد اعتنقت العقيدة الشيخية عندما كانت تلك العقيدة جديدة بالنسبة الى عقائد الشيعة المألوفة، غير أنها لم تكد تسمع بظهور الباب حتى أسرعت الى اعتناق دعوته. ورأيناها منذ اعتنقت الدعوة البابية تتزعم القائلين بتجديد الشريعة بين أتباع تلك الدعوة، مرة في كربلا وأخرى في الكاظمية وثالثة في بدشت، حتى كتب لها الفوز أخيراً. وقد يصح القول انه لولا قرة العين لما سار تاريخ الدعوة البابية على

النحو الذي سار عليه فعلاً.

حاول بعض الخصوم تعليل هذا الميل لتجديد الشريعة عند قرة العين بأنه نتيجة زواجها الفاشل من ابن عمها، ففي رأيهم أنها كانت تبغض زوجها من أعماق قلبها ولما كانت الشريعة الاسلامية لا تمنح المرأة حق الانفصال عن زوجها أو الطلاق منه فقد اندفعت قرة العين اندفاعاً لا شعورياً نحو اعتناق كل دعوة تتيح لها نسخ الشريعة لكي تتخلص من ربقة زوجها البغيض على وجه من الوجوه.

اني اعتقد على أي حال أن قرة العين امرأة لا تخلو من عبقرية وهي قد ظهرت في غير زمانها، أو هي سبقت زمانها بمائة سنة على أقل تقدير. فهي لو كانت قد نشأت في عصرنا هذا، وفي مجتمع متقدم حضارياً، لكان لها شأن آخر، وربما كانت أعظم امرأة في القرن العشرين!

الهوامش:

١- محمد زرندي (مطالع الانوار) ترجمة عبدالجليل سعد- القاهرة ١٩٤٠، ص ٦٣-٦٦.

٢- ان هذه المعلومات عن قرة العين حصلت عليها من مصادر مختلفة، وقد استفدت بصورة خاصة من كتاب مخطوط بقلم عبود الصالحي عنوانه "قرة العين على حقيقتها وواقعها" . ومما يجدر ذكره ان هذا الكاتب هو من اسرة البرغاني ومن أقرباء قرة العين.

٣- محمد زرندي (المصدر السابق) ص٦٤.

٤- عبدالحسين آواره (الكواكب الدرية) ترجمة أحمد فائق رشيد - القاهرة ١٩٢٤، ج١ ص ١١٠- ١١١.

٥- المصدر السابق ص ١٨٩.

٦- أشكر عبود الصالحي من كربلا على اعارتي الكتاب الأول، كما أشكر عبدالرزاق العبايچي من بغداد على اعارتي الكتاب الثاني.

٧- نقلاً عن الكتاب المخطوط (عقائد الشيخية) بقلم الملا أحمد الخراساني ص٣- ١٣.

٨- نقلا عن كتاب "ظهور الحق" وهو مطبوع في ايران بدون ذكر لمكان الطبع أو تاريخه، ص٢٤٥- ٢٤٧.

٩- المصدر السابق، ص٢٤٩- ٢٥٣.

١٠- المصدر السابق، ص٢٥٣- ٢٥٤.

١١- المصدر السابق، ص٢٥٦- ٢٥٧.

١٢- عبود الصالحي (المصدر السابق) ص٢١.

١٣- أغا محمد مصطفى البغدادي (رسالة أمرية) في ذيل الرسالة التسع عشرية- القاهرة ١٣٣٨هـ، ص١٠٩.





١٤- عبدالحسين آواره (المصدر السابق) ص١١٢ .

١٥- محمود شكري الآلوسي (مختصر التحفة الاثني عشرية) القاهرة ١٣٧٣هـ ص٢٤ .

١٦- أغا محمد مصطفى البغدادي (المصدر السابق) ص١٠٩- ١١٠ .

١٧- عبود الصالحي (المصدر السابق) ص ٤٥- ٤٧ .

١٨- أغا محمد مصطفى البغدادي (المصدر السابق) ص١١١- ١١٤ .

١٩- عبدالحسين آواره (المصدر السابق) ص١٩٧- ٢٠١ .

٢٠- المصدر السابق، ص٢٠١- ٢٠٢ .

٢١- محمد زرندي (المصدر السابق) ص٢١٨- ٢١٩ .

٢٢- عبد الحسين آواره (المصدر السابق) ص٢٠٣- ٢٠٤ .

٢٣- محمد زرندي (المصدر السابق) ص٢٢٠ .

٢٤- عبد الحسين آواره (المصدر السابق) ص٢٠٥- ٢٠٦ .

٢٥- محمد زرندي (المصدر السابق) ص٢٢٠ .

٢٦- عبد الحسين آواره (المصدر السابق) ص٢٠٨ .

٢٧- أغا محمد مصطفى البغدادي (المصدر السابق) ص١١٨- ١١٩ .

٢٨- محمد زرندي (المصدر السابق) ص٢٢٢- ٢٢٤ .

٢٩- عمر رضا كحالة (أعلام النساء) دمشق ١٩٥٩- ج٤ ص١٩٧- ١٩٨ .

٣٠- عبد الحسين آواره (المصدر السابق) ص٢١٧- ٢٢١ .

٣١- المصدر السابق - ص٢٢٠- ٢٢١ .

٣٢- محمد زرندي (المصدر السابق) ص٢٣٤ .

٣٣- المصدر السابق - ص٢٣٢- ٢٣٥ .

٣٤- محمد مهدي خان (مفتاح الأبواب) القاهرة ١٣٢١هـ ص١٨٠- ١٨١ .

٣٥- محمد زرندي (المصدر السابق) ص٢٣٥- ٢٣٦ .

٣٦- المصدر السابق - ص٢٣٦- ٢٣٧ .

٣٧- محمد مهدي خان (المصدر السابق) ص١٨٢ .

٣٨- عبدالرزاق الحسني (البابيون والبهائيون في حاضرهم وماضيهم) صيدا ١٩٥٧- ص٧٧ .

39- E. G. Browne (A Year Among the Persians) Cambridge 1927- p.571-572.

٤٠- عبدالرزاق الحسني (المصدر السابق) ص٣٣ .

41- Sir Percy Sykes (A History of Persia) London 1958-vol. 2, P. 344.

٤٢- محمد زرندي (المصدر السابق) ص٤٩٧- ٤٩٨ .

٤٣- محمد باقر الجلالي (الحقائق الدينية في الرد على العقيدة البهائية) النجف بدون تاريخ- ص٢٤ .

٤٤- محمد مهدي خان (المصدر السابق) ص١٨٣ .

45- E. G. Browne (op. cit.) P. 541-542.

٤٦- محمد زرندي (المصدر السابق) ص ٥٠٠- ٥٠١ .

٤٧- المصدر السابق ص٥٠٥ .

٤٨- محمد مهدي خان (المصدر السابق) ص١٨٣- ١٨٤ .

قرّة العين

اني اعتقد على أي حال أن قرة العين امرأة لا تخلو من عبقرية وهي قد ظهرت في غير زمانها، أو هي سبقت زمانها بمائة سنة على أقل تقدير. فهي لو كانت قد نشأت في عصرنا هذا، وفي مجتمع متقدم حضارياً، لكان لها شأن آخر، وربما كانت أعظم امرأة في القرن العشرين!

د. علي الوردي



منشورات الجمل ١٩٩٧